(الحَجَرُ في حَياةِ بَنِي إسرائِيل)

تأليف

أ. د. الطيب علي أبو سن
وزير الثقافة الأسبق
بدولة السودان

(الطَّبعة الثانية)
١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

مكتبة البلد الأمين:
تليفون: ٠١١١١٧١٨٧٢٧

•• مراكز التوزيع:
مكتبة الاستقامة: ٠١١٢٤٥٤٧٠٦٤
دار سطور: ٠١٠٠١٣٣٢٣٧٢ - ٠١١٠٠٦٣٥٠٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

في أُمسيةٍ مِنْ أُمسيات كانون الباردة بعاصمة الضباب «لندن».

أويتُ إلىٰ منزلي بغرب المدينة بعد يومٍ طويل مِن العمل الأكاديمي.

تناولتُ وجبَة العشاء المبكر...

ومن ثَمَّ زَلفتُ إلىٰ جهاز التِلْفاز لأَقِف علىٰ آخرِ الأنباءِ العالمية.

فمِنَ المشاهد المألوفة:

طفلٌ فلسطينيٌّ مِنْ أهل «رام الله»

يقف بجانب أَحد حِيطان المدينةِ يَتَفَحَّص بين كفَّيه الغضَّتين حجارةً ثلاثة ينظرُ إليها؛ وكأَنَّهُ يُجاذِبها أَطرافَ الحديث، يُوصيها بصدق، ويُودِعُها سِرًّا ينبع مِنْ إحساسٍ يتمثَّل في مدٍّ انسيابي نابعٍ مِنْ فجر التاريخِ عبر الأَجيال، يجري في شرايين أُمة الإسلام مَجرىٰ الدماء.

ويحملُ رسالةً مورثة: لغتُها الصمت، وحروفها نبضات القلوب، وتراكيبها صيغت مِنْ دقائق الروابط التاريخية وكنوزها.

بَرَزَ الطفلُ للجندي الإسرائيلي، وقد أُضيفت لقامته قامتان في عيني الجندي الذي يحمل سلاحًا ناريًّا.

رمىٰ الطفل الجنديَّ بالحَجَر الأول فركضَ الجنديُّ أمامَه.

كان المشهد كما أَسلفت مأَلوفًا؛ بيد أَنَّ هذه النزلة قد تفرَّدت معي بنسيج مِنَ السياحة والتِّرحال مع هذا الحَجَر.



ما سِرُّ هذا الحَجَر؟

وما المعاني التي يُوحيها إلى الطفل ؟

وما الرسالة التي يبعثها الجندي المهرولُ بسلاحه ؟

لا ريب أَنَّ وراء الأَكمة ما وراءها.

أرأيتك يا عقلي!

أَهذَا الشعور الذي يزور مدٌّ، أَمْ هي أَضْغَاثُ أَحلام يقظة، وبقايا خَيَالٍ من ظلالٍ يُلقي بها نَصَبٌ وَإِعيَاءٌ مِنْ عَناء العمل ومَشقَّته؟!

ما هي إِلَّا لَحظَات فإذا الأَسدَال مفروجة، ونَسَمَاتٌ مُقتَطَعَة مِنْ رِيحِ غُدوها حقَب تُحلِّقُ بي فوق تَأرِيخِ أُمَّة؛ خلال تلك الليلة التي كان سامري فيها:

حَجَر طفل «رام اللّه»

الذي أَلهمهُ الله سِرَّ ذَلك الحَجَر!



بنو إسرائيل.. وإسرائيل هو عَبْدُ الله، ونبيُّ الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كانت وما زالت وستظل لهم مع الحَجَر قصة.

قصّة مَدخلها يبدأ مِنْ أَيامِ الفراعنة الذين خَلَفُوا الهكسوس حُلفَاء بني إسرائيل وأَحباءَهم.

لقد وجدَ الفراعنة علىٰ بني إسرائيل موجدًا مصدره تعاونهم مع أَعدائهم، بل واشتراكُهم في حملاتٍ بجانب الهكسوس ضدَّ الفراعنة.

عَقَدَ الفراعنةُ العزم علىٰ اضطهاد بني إسرائيلَ وتعذِيبهم، جزاءً وفاقًا، فاستخدموهم في بناءِ المدن يحمِلون الحجارة التي أَنهَكَتْ أجسامهم، وارتبطت بمعاني الاستغلال والاستعباد، وأَفضت بهم

إلىٰ الحقد والكراهية.

ومن مُخرجات هذه المشاعر، برز اعتقادٌ لدىٰ الفراعنة مفاده:

أَنَّ نهاية الفرعون المَلِك ستكون علىٰ يد رجلٍ مِنْ بني إسرائيل.

۞ وهنا بدت المعادلةُ شديدة التعقيد:

قتل الأطفال الذكور، واستحياءُ النساء فيه خلاصٌ مِنْ احتمال تنفيذ خطة قَتْلِ الفِرعَون، غير أَنَّه سيؤدي إلىٰ تجفيف مصدر العَمالة، فهل إلىٰ خروجٍ مِنْ هذه المُعْضِلَة مِنْ سبيل؟

نَشأَتْ فكرة قتل الذكور عامًا واستحيائهم عامًا، وحدث ما حدث مما أَحاط بميلاد موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ الذي كان مَولِدُهُ خلال عام القتل، فأَنجاه الله من خلال معجزة خرقت نواميس الحياة وقواعد منطقها.

فتربَّىٰ في بيت الفِرْعَونِ عدوِّه الذي كان يَحذَرُ من أخطار القوم ونيران غضبهم.

وهذه أولىٰ الخطوات علىٰ طريق الخلاص والنجاة.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ

أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ ﴾ [البقرة].

تَكَشَّفَ أَمرُ موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وظَنَّ أَلَّا ملجأ له إِلَّا الهجرة.

فتوجَّه تِلقاءَ مَدْيَنَ، حيث التقىٰ بابنتَي شُعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وسط أُمَّة مِنَ الناس يسقون قُطعَانَهُم مِن الأَنعام، فأَزاح صخرةً وسقىٰ لهما ثم آوىٰ إلىٰ الظلِّ يشكو فَقْرَهُ لربِّه، وهو يأَمُل الخير.

رَجعَتْ إحدىٰ ابنتي شُعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ القَوِيِّ الأَمِينِ موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكانت دليلَه إلىٰ موقع أَبيها، وقَدْ عَدَلَ موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عَنْ خطة السَّيْرِ الأُولىٰ إلىٰ الخطة الثانية، فآثر أَنْ تسير البنت خلفه لترسم له خارطة الطريق بالحَجَر.

أَجَــلْ، إنَّه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ القَوِيُّ الأَمِينُ، قويٌّ برفعِ الحَجَر، وتهيئة السقيا قبل أَنْ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ، وأَمينٌ باختيار الحَجَر لِيَكُونَ دَلَيلَ سيره، حين تعذر غَضُّ البصر، مع ضرورة إجابة دعوة نبيِّ الله شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ.

قضىٰ موسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أَحَدَ الأجلين المضروبين، وسار بأَهلِه في رحلة الإياب إلىٰ قومه، وبينما هو في الطريق آنس من جانب الجبل نارًا.

فأَشار لأَهله بالبقاء لعله يَجِدُ عند النَّار هدىٰ، أو ربما أَتَىٰ منها بقبسٍ يستعين به علىٰ تخفيف حِدَّة الزمهرير.

قال تعالىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ [طه].

في إشارة أُخرى مع الحَجَر أو مُسْتَودَعِ الحَجَر إنْ شِئتم: إلىٰ جبل الطور. قال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [القصص].

وعِبَادُ اللهِ المصْطَفُونَ الأخيارُ تُحيط بهم عنايةُ الله وحِمَايته مِنْ أذىٰ جوارح النَّاس مِنْ يد أو لسان.

فقد اتَّهَمَ بنو إسرائيل موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالأُدرة، فجاء بِبَرَاءَتِهِ الحَجَر؛ حيث تحركت الصخرة بلباسه بعيدًا عَنْ الشاطئ، عندما نزل ليغتسل فبدا للناس بريئًا.

وقال الله تعالىٰ في هذا الشأن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب].

وتأتي رِحلَةُ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو يبحث عَن العبد الصالح لمرافقته بقصد التَّعَلُّم منه مما عُلِّمَ رُشدًا.

وعلى طريق الرحلة التي لقي فيها موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وفتاهُ نَصَبًا شَعَرَ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بِشَيۡءٍ مِنَ الجوع، فأَشار إلى فتاهُ بأَنۡ يأتي بِٱلۡغَدَاءِ، وكان رَدُّ الفتى: ﴿أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف].

۞ ۞ ۞

وهكذا يُواصل الحَجَر مساره مع بني إسرائيل في مَوَاقِفَ شتَّى، تَضَع على مواقع تَأرِيخِهِم الأحداث، التي شكلت صميم ذلك التَّأْرِيخِ وهيكله.

ومِنۡ سُوءِ العذاب الذي سامهم إيَّاه فَراعنةُ مصر، ومِنۡ مواقع التسخير لِبِنَاءِ المدن وحَمۡلِ الحجارة إلى شاطئ البحر على طريق رحلة الخلاص.

وهناك عاودت الأُمَّة ذِكۡرَ الحَجَر، وتَمَثَّلَتۡ لهم في ماء البحر، وهم

يَعبُرُونَهُ إلى رحاب الحُرِّيَّةِ، ظهرت فلقتا البحر عن اليمين وعن الشمال كقامتي جبلين.

قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء].

وباجتيازهم حاجز البحر، مِنْ خلال معجزة هي قنينة بِأَنْ تقوي العقيدة في التوحيد، خَالف بنو إسرائيل نواميس المنطق والواقع، فشاهدوا أَصنامًا مِنَ الحجارة وقومًا يعكفون على عبادتها، فَنَسَوا نِعْمَةَ رَبِّهِم وسأَلوا موسى عليه السلام أَنْ يجعل لهم آلهة.

قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾[الأعراف].

وتحضرني في هذه المناسبة كلماتٌ قالها يهوديٌّ لسيدنا عمر بن الخطاب بعد موت النَّبي صلى الله عليه وسلم، وبعد الحوار الذي جرى في ثقيفة بني ساعدة.

قال اليهوديُّ: لقد اختلفتم قبل أَنْ يجف ماء نبيكم، فردَّ عليه

سيدنا عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لقد سأَلتم نبيكم أَنْ يجعل لكم أَصنامًا قبل أَنْ تجف أَقدامكم**».

۞ ۞ ۞

رافقهم الحَجَر واحتلَّ أَذهانهم، فأَرادوا عبادته مشركين في عبادة الذي نجَّاهم، ناسين أَو متناسين نعمة الخلاص.

خَرَجَ موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في إحدىٰ رحلات زاد العقيدة، وهو يعيش مُتْعَة التوحيد، ورفقة التَعَلُّق بِحُبِّ رَبِّهِ الذي وهبه التوفيق والسداد والسؤد، فنشأَ في قلبه رغبةٌ صادقة في رؤية هذا الرَّبِّ الذي شَمِلَهُ بالهداية والحب.

قال تعالىٰ: ﴿ **وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾** ﴾ [الأعراف].

عاد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلىٰ قومه وَشُحْنَاتُ الإيمان قد مَلَأَتْ جوانب نفسه وبين يديه الأَلواح فيها الهدىٰ والرحمة، إِلَّا أَنَّهُ قد فُوجِئَ بما لا يُتوقع

مِنْ قومه الذين أَضَلَّهُم السَّامِرِيُّ.

وذلك ما قاده إلىٰ إلقاء الأَلواح وهو غضبان، والأَسف ينبع مِنْ عينيه.

لقد أَصاب الألواح ما أَصابها، وما يهمنا في هذا المجال أَنَّ الأَلواح كانت مِنَ الحجارة علىٰ اختلاف المفسرين حول أَنها مِن الحجارة الكريمة ياقوتًا كانت أَو زمردًا.

۞ ۞ ۞

وَيُعَاوِدُ الحَجَر وُلُوجَهُ في حياة القوم يَدْعُوهُم بالتهديد مع الدعوة إلىٰ الالتزام بهدىٰ الله، واتباع أمره.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧١﴾ [الأعراف].

وتظل قلوب القوم رُغْمَ كل هذه التَّجَارِب الرادعة، قاسية قَسْوَةَ الحجارة وصلابتها.

قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٧٤﴾ [البقرة].

أَجَلْ.. إِنَّ قُلُوبَهُم بقسوتها قد فاقت صلابة الحجارة، التي رأينا تَصَدُّعَهَا من خشية الله، عندما تجلى الله سبحانه وتعالى، كما ورد آنفًا، ونرى بعد ذلك كما رأينا، أَنَّ مِنهَا لَـمَا يَتفَجَّر منها الماء.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة].

۞ ۞ ۞

وتَمُرُّ الأيامُ ببني إسرائيل وهي تصنع تَأرِيخَهُم وتُؤَرِّخ لأَحداثه، ويُصاحب الحَجَر هذه الأَحداث مُصاحبةً لصيقة، وكأَنه يُريد بِذلك أَنْ يُرسل إشاراتٍ لهؤلاءِ القوم، يدعوهم مِن خلالها إلى وقفات تَأَمُّل يجمعون مِن خلالها عُرى المواعظ ومعاني المواقف.

سأَل القوم نبيًّا لهم أَنْ يبعث لهم ملكًا يُقاتلون تحت قيادته، وبعد حوارٍ وجدالٍ حول ذلك المَلِكِ القائد، خرج بهم طَالُوتُ ومِنْ بين صفوف جنوده فتىً شُجاعٌ مقدامٌ، كانت على يديه مَنِيَّةُ قَائِدِ الأَعدَاءِ جالوت، الذي لم يكن يَتَوَقَّعُ أَنْ تكون نهايته على يد أَحد فتيان القوم، وهو البطل المغوار المتوقع أَنْ يُلاقي في مبارزة أَنْ يطول

مَدَاهَا واحدًا من القادة الشاهرين.

۞ ۞ ۞

كان الفتَى الذي أَلحق الردَىٰ بجالوت هو داود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكان السلاح حَجَرًا انطلق مِنۡ مقلاعه.

قال تعالىٰ: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة].

ويَشِبُّ الفتَىٰ اليعقوبي عَن الطَّوقِ، ويتم إِعدَادُهُ تحت رعاية رَبِّهِ لحمل رسالة النُّبوَّة والدعوة إلىٰ التوحيد.

ومما أَفاء الله عليه مِن النعم: المُلْك، والحكمة، وتسخير الحديد لصنع السابغات مِنَ الدروع، وَجَمَال الصوت الذي صَدَعَ بآيات الزبور، فاستجابت الجبال تأديبًا وترجيعًا وتسبيحًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص].

۞ ۞ ۞

وهكذا تمرُّ الأَيام والأَعوام بَخَيرِهَا وشرِّها، وبنو إسرائيل يعيشون تَأرِيخَهم عبرها، بتجارب ناهيك بها تقلبًا وتأَرجحًا، تتجاذبهم الخلافات والصراعات.

۞ ۞ ۞

جادَلوا في التشريعات، وتفنَّنوا في اختلاق مخالفات تَوَجُّهَاتِ أَنبِيَائِهِم، فعصوا فريقًا، وقتلوا آخر ظُلْمًا وعُدْوَانًا.

وسأَلوا موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنْ يُرِيَهم الله جهرة، واحتالوا علىٰ تشريع السبت، وحَرَّفُوا الكَلِمَ عَنْ مواضعه، واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، وَلَوَّوا أَلسنَتهمْ بالكتاب، وقالوا علىٰ الله ما لا يعلمون.

۞ ۞ ۞

ويُطِلُّ الحَجَر مِنْ جديد، ليبعث رسالة جديدة لهؤلاء القوم في عَهْدِ سُلَيمان عليه السلام، وكأَن التجربة هنا تَوَدُّ أَنْ تُعيد أَذهانهم إلىٰ فجر تَأرِيخِهم مع الفراعنة.

فقد سَخَّرَ اللهُ الجنَّ لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ينحتون الصخر، ويحملون

الحجارة لبناء المحاريب والجفان، وَدُرُوبٍ من أَشكال العمارة أَلحقت بهم نصبًا، وملأت نفوسهم رُعبًا.

كانوا يخافون من سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويحملون على أَجسامهم ما لا تُطيق أَحيانًا، واستمروا على هذا المنوال حتى بعد موت سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما دَلَّهُم على مَوْتِهِ إِلَّا دابةُ الأَرض التي أَكلت مِنسأَته، وأَظهرت حقيقة موته، وأبدت الجن ندمها على العمل بعد موت النَّبيِّ سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلو كانت تعلم ذلك لما لبثت في العذاب المهين.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ].

❁ ❁ ❁

ويتوالى الجدال، وتحريفُ المقال، وتأَتي طائفة مِن شيوخ اليهود وشبابهم إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما ورد في إنجيل يوحنا - الإصحاح

الثامن، وفي معيتها امرأة متهمة بالزِّنا.

قالت الطائفة لعيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: إنَّ موسىٰ أَوصانا في الناموس بأَنَّ مثل هذه تُرجَم.

ويدور الزمان دورته وتأتي جماعة مِنَ اليهود لمحمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لتُنكر أَمامه وجود الرجم في التوارة.

لقد أَرادوا أَنْ يحتالوا علىٰ مَنْ لا ينطق عَنِ الهوىٰ، بيد أَنَّ الله سبحانه وتعالىٰ بَادَرَهُم الحقيقة.

قال تعالىٰ: ﴿ وَكَيۡفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوۡنَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٣ ﴾ [المائدة].

كشفَ اللهُ سبحانه وتعالى تذبذُبهم وتَغيُّرَ مواقفهم، وعدم ثباتهم علىٰ مبدأ، بل واختلافهم فيما بينهم في الأَحكام، فأَصبحوا بذلك يُؤمنون بِبَعۡضِ الكتاب ويكفرون ببعضه، وأَصبح بَأۡسُهُم بينهم شديدًا، ويُحاولون صَرۡفَ الناس عِن الذكر الحكيم، يُؤۡمِنُونَ به وَجۡهَ النهار ويكفرون به آخره، وهم يقصدون بذلك صرف الناس عن العقيدة، وإضعافِ مِصۡدَاقِيَّتِهَا كما تُصَوِّرُ لهم عقولهم.

سَأَلُوا النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنْ فتيةِ الكهفِ، وذي القرنين، والروح، فَجَاءَتِ الإجابة بشرحٍ اصطحبَ الحَجَرَ في الكهف عندما دار الحديث عَنِ الفتية الذين فروا بدينهم مِنْ ظلم أهل زمانهم.

قال تعالىٰ: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾** ﴾ [الكهف].

۞ ۞ ۞

وفي ذكر ذي القرنين عندما ساوىٰ بين الصَّدَفَيْنِ.

قال تعالىٰ: ﴿ **ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾** ﴾ [الكهف].

۞ ۞ ۞

وهناك الحَجَر الذي أراد اليهود أن يمكروا به علىٰ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأرادوا أن يُلقوه علىٰ رأس النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكان عالٍ، فعصمه الله عَزَّ وَجَلَّ، وأرسل له جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليحذره ويُخبره بخيانتهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٣٠ ﴾ [الأنفال].

۞ ۞ ۞

كانت تلك هي رحلتي

مع أحجار طفل «رام الله»

التي تَصَفَّحَهَا وَقَلَّبَهَا بين يديه قبل أَنْ يُطارد بها الجندي الإسرائيلي.

إِنَّهَا رِحْلَةٌ تحمل بين طياتها مِنْ نسيج التجارب، ما يستوقف المتأمل، ويدعوه إلى ربط الأحداث، ليخرج مِنْ خلال دوائرها المنداحة إلى أَسرار طالما طوتها أَجنحة الزمان مُبعثرة.

ما كنت أَدْرِي رَوَابِطَ تكوينها لولا زَيَارَة تلك الخاطرة التي خرجت مِنْ جوف أُمْسِيَةِ كانون الأول الباردة في عاصمة الضباب.



حَجَر وحَجَر

حَجَر بني إِسْرَائِيل: الذي رافقناه خلال فترةٍ مِنْ سنين حياتهم.

وحَجَرنا نحن معشرَ المسلمين: الذي نمت بيننا وبينه صِلَاتٌ؛ جعلته مختلفٌ جدًّا.

- إذْ نُمَر على الفيل وأصحابه كعصفٍ مأكول ليحمي قبلتنا.
- وتحدثَ حادثة الصدِّيق مع نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { **وإنِّي لأعرف حَجَرًا بمكة كان يُسلم عليَّ بالنبوة قبل البعثة** }[1].

- ووفَّر له عليه أَفضل الصلوات وأَتم التسليم سوانحَ الهدوءِ والسكينة لِيَسْتَقْبِلَ بوادر الرسالة الخاتمة في غار حراء.
- وَضَمَّ في باطنه الصاحبين، وَحَماهُما بِأَمْرِ الله مِنْ كيد المشركين في مستقر ثَوْر.
- ونمت بينه وبين النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صِلَةُ الصُّحبَةِ؛

(١) أخرجه مسلم، (٢٢٧٧).

فقال النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **{ أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ }**(١).

۞ ونلتقي في ساحاته حَجيجًا في عرفات.

۞ وطفنا بين حَجَرين، وقبلناه حَجَرًا، والتقطناه حَجَرًا، ورمينا به حَجَرًا.

۞ ليُرَد لنا الجميل يوم تبدو علامات اللِّقاءِ الكبير، وَبِشَارَاتِ الحشر ونذره، يوم يقول: **يا مسلم**، يا عبد الله هذا يهوديٌّ يتخذُني ساترًا، تعالَ فاقتله.

۞ ۞ ۞

• عندما يتكلَّم الشجرُ والحَجَر:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:

{ لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَر وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحجر أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إلا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ }(٢).

---

(١) أخرجه البخاري، ح (١٤٨٢)، ومسلم، ح (١٣٩٢).
(٢) أخرجه البخاري، ح (٢٩٢٦)، ومسلم، ح (٢٩٢٢)، وفي مواضع أخرى.

• مجموع الأحاديث تكلَّمت عن جانب إعجازيٍّ، يُنصَر فيه المسلمُ علىٰ اليهوديِّ، وهو كلامُ الشَّجَرِ والحَجَر، ومساعدَتُه للمسلم في قتاله مع اليهوديِّ إلا الغَرْقَدَ، وهو نوع من شجر الشَّوْكِ معروف ببلاد بيت المقدس.

• لماذا الشجرُ والحَجَر؟!

١ـ هما جند من جنود الله تعالىٰ يسلِّطُه علىٰ من يشاء، كَيْفَما شاء، فالريح سُلِّطَتْ علىٰ عادٍ، والطوفانُ علىٰ قوم نوحٍ، والبحرُ علىٰ فرعونَ وجندِه، وسَيُسَلَّطُ الشجرُ والحَجَر علىٰ اليهود في آخِر الزمانِ.

٢ـ الجزاءُ من جِنس العملِ: يقتلع اليهودُ النخيلَ والزيتونَ (الشجرة المباركة)، وتُهدَم البيوتُ بفعل الجرَّافات تارةً، وبالصواريخ تارةً أخرَىٰ، إذن فقد نال الحَجَر والشجرَ الحظُّ الأوفرُ من هجمتهم، كما قاموا بعمل جِدار الفَصْلِ العُنْصُريِّ، فظُلْمُ اليهود وغطرستُهم لم تقتصر علىٰ البشر فقط، بل تعدَّتْها لتشمل الشجرَ والحَجَر، وبذلك يُوطئون من حيث لا يعلمون للمعركة التي يُشارك فيها الحَجَر

والشجرُ مع البشر في الانتقام من هؤلاء الظلمةِ.

٣ـ والحَجَر والشجرُ كغيرهما من كائنات هذا الكون تتألَّمُ لِسَطْوَةِ الكافر، وافترائِه على الله بغير علم، فالنصارَىٰ افترَوْا على الله سبحانه وتعالى فِرْيَةً، وادَّعَوْا للرحمن ولدًا، وظنُّوا أن مقولَتهم هيِّنةٌ عند الله، وكذلك افترَتِ اليهودُ، وقالوا: «عزيزٌ ابنُ الله»، فجاءت الآياتُ في سورة مريمَ تبيِّن عظمة هذه الفِرية عند الله، وكيف استقبلها الكونُ العابدُ (١).

يقول الله ﷻ: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا
(٨٩) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ
الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ
أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) ﴾ [مريم].

---

(١) قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨) ﴾ [الحج]، وقال تعالى ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤) ﴾ [الإسراء].

فالسماءُ علىٰ عظَمَتِها وعُلُوِّ سَمْكِها تكاد تتفطَّر، والأرضُ علىٰ سَعَتِها لم تحتمِلْ تلك الفِريةَ، وتكادُ تتشقَّقُ، والجبالُ بشُمُوخِها وصلابة صخورها تكادُ تتحوَّلُ ترابًا لِعَظمَةِ هذه الفِريةِ علىٰ من لم يتَّخِذ صاحبةً ولا ولدًا، **سبحانَه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا**.

٤ـ إذا كان هذا حال الكون مع فِريةِ النصارىٰ الذين وصفَهم الله بأنهم ضلُّوا الطريقَ، فكيف يكون حالُ الأرضِ المقدَّسة عندما يسكُنها أعظمُ الناس افتراءً علىٰ الله سبحانه وتعالىٰ واجتِراءً عليه، وكيف بترابٍ تشبَّع بدماء الشُّهداء، واختلط بأجسادِ الصالحينَ، كيف يكون حالُه وقد وَطِأته أمَّةٌ مغضوبٌ عليها، ونزلت عليها لعائنُ الله المتكرِّرة، وكيف يكون حالُ التينِ والزيتونِ والنخيلِ وغيرِها من الأشجار مما نالَتْ حظًّا وافِرًا من ظلمِ يهودٍ، ولعلَّ أكثر موجودات الأرض المقدسة ألمًا: **الشجر والحَجَر**، بما نالا من ظلم سافِرٍ مباشر من اليهود، إذًا فليَكُنْ لهما مع المسلم شرفُ تطهير الأرض المقدَّسة من أمَّة لها النصيب الأوفر في كل افتراءٍ علىٰ دين الله سبحانه وتعالىٰ، وعلىٰ أهلِه في الأرض.

٥ـ البِشارَةُ من النبيِّ البشيرِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بألا يداخِلَنا اليأسُ من رَوْحِ الله ونصرتِه، وألا ننخدِعَ بانتفاشِ الباطل وقوتِه في الأرض، وألا نستعظِمَ قوةَ اليهود في الأرض لدرجة تجعلُنا نستسلِمُ للأمر الواقع، ونستبعِد معه نصرةَ الله لمن أقاموا العبوديةَ لله تعالىٰ وحدَه.

فالمسلمُ صاحب نداءِ «**يا عبدَ الله**» في ظِلِّ هذه الظروفِ المَريرة تحت سطوةِ سَيْفِ اليهود ومَن والاهم، لا يموتُ في وَحْلِ الهزيمة النفسيَّة، لأنه يقلِّب صفحاتِ الوَحْيِ(١)، فما يرىٰ أمامَه إلا البُشرَىٰ من الحبيبِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنصر علىٰ اليهود، والتمكينِ في الأرض، هذا النصر والتمكينُ الذي سيشاركه فيه **الشجرُ والحَجَر**، عندما تدِبُّ الحياة في المسلم من جديد، ويستعيدُ ثقتَه بدينه أوَّلًا، ثم ثقتَه

(١) يرى النبي ﷺ خبَّابًا وهو يعذَّب فيقول له: { والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه }، ويقول لسراقة بن مالك، و هو يطارد النبي ﷺ طمعًا في قتله، ويبشر بالنصر لا على قريش فحسب، بل على أعظم دولة في زمانه (فارس)، وأن سراقة سينال سِوارَي كسرى. وفي غزوة الأحزاب، وقد جُيِّشت الجيوش للفَتك بالنبي ﷺ وأصحابه، وعَرَضت لهم صخرة فقام عليها، وضربَها، وهو يبشر أصحابه بقصور الحِيرة، ومدائنِ كِسرَى، والقصور الحُمر من أرض الروم، وقصور صنعاء.

بنفسه كحاملٍ لِلِواءِ أعظمِ رسالةٍ عرفتْها البشرية، فيتحرَّك من جديد ليترجِمَ معاني هذه الرسالة في الأرض، وقد استنار بنور الله سبحانه وتعالىٰ، ترافِقُه بُشرَىٰ النبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبدرُ الغلَبة والتمكينِ له ولرسالته عبر ظُلمَةِ ظُلْمِ اليهودِ وأعوانِهم في الأرض.

٦ـ هذا الإخبارُ من الإعجاز النبويِّ دليلٌ من دلائل صِدق نبوَّتِه، فالآيات والأحاديث تشير إلىٰ أنه سيكون هناك تواجدٌ وقوةٌ لليهود في الأرض المقدَّسة ينتهي بمعركة ينتصِر فيها المسلمون، والأيامُ كفيلةٌ لِتُرِينا أو تريَ مَن بعدَنا مصداقيَّةَ كلِّ حدَثٍ أخبر به النبيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلىٰ الوجهِ المراد في ثوب الواقعِ، حقيقةً لا يُماري فيها أحدٌ.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم].



• العقل والقوة للتعمير .. أم للتدمير ؟!

وفي القرآن الكريم: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

وإذا أردت أن تعرف هذا المعنىٰ القرآني الدقيق البليغ، وهذا الوصف المطابق لواقعهم، فاستمع لما يقوله مفكرون وأدباء وقادة وجنود منهم.

يقول: «إسرائيل شاهاك»(١):

• كان اليهود معرَّضين للامتهان والتعذيب والاضطهاد والطرد من البلاد، وبذلك كانت حياة اليهود في ألمانيا آنذاك في غاية البؤس والشقاء الذي يصل ذروته عندما يطلب منهم الألمان النازيون أن يلملموا حاجياتهم، وأن يغادروا ألمانيا، أو بالأحرىٰ كانوا مجبَرين علىٰ مغادرة كل أوربا هربًا من العذاب والموت في معسكرات قتل اليهود وإبادتهم، ووجد اليهود الحل في إقامة دولة لهم يعيشون فيها.

---

(١) «إسرائيل شاهاك» يعمل مدرِّسًا للكيمياء بالجامعة العبرية في القدس المحتلة وهو يهودي، وهو واحد ممن نجا من الهوليكوست ومن معسكرات الاعتقال النازية.

واليوم بطريقة قبيحة وعديدة ومخيفة، يقول قادة وزعماء إسرائيليون للفلسطينين: يجب أن تذهبوا عن البلاد، يجب أن تخرجوا من البلاد تمامًا كما كان يفعل النازيون في أوربا ويقولون لليهود: «يجب أن تذهبوا عن البلاد. يجب أن تخرجوا من البلاد ».

وتعبير «**يجب أن تخرجوا**» عنوان كتاب نشره واحد من زعماء إسرائيل وساستهم وعضو كنيست عندهم هو: «مائير كاهاني».

إن التعذيب وامتهان كرامة الإنسان الفلسطيني يأخذ صورًا متعددة على أيدي الإسرائيليين، وامتهان كرامة الفلسطيني المهدد بالحرمان من الخدمات الطبيعية وخدمات الكهرباء والمياه والهاتف، وبإغلاق المدارس ومعاهد التعليم فترات متلاحقة، ويصل الأمر إلى حدِّ إحراق الكتب، هذا بجانب عقوبات الضرب المبرِّح في أعقاب اعتقال أعداد كبيرة من الأبرياء أثناء سيرهم بالشوارع دون محاكمة، لقد أصبحت الوحشية تدمغ ممارسات وحدات الجيش الإسرائيلي العاملة بالأرض الفلسطينية المحتلة.

إن كثيرًا من العقلاء لديهم يرون أن إسرائيل تدمر نفسها ومن

حولها بممارسة هذه الأعمال الوحشية.

• ماذا يدور بأذهان أولئك الضباط الإسرائيليين وهم يخططون ويرسمون هذه السياسات والممارسات القمعية المتعسفة القاسية لكي يقمعوا الفلسطينيين ويستبقوهم داخل الخطوط المرسومة لهم؟

• ما هو رد الفعل في عقول ونفوس الفلسطينيين وهم يقاسون هذا العذاب الذي ينزل ويحل بهم؟

هذا الاتجاه الذي تنحدر إليه مشابه تمامًا للممارسات الهتلرية بألمانيا النازية.

إنها عبودية ذات إيقاع سريع، إن الفلسطينيين يُعذَّبون بالطرق الحديثة في التعذيب، إنه تعذيب بالكومبيوتر كما يسميه «إسرائيل شاهاك».

والشرُّ يتولَّد عن الشرِّ، والعجيب أن حوالي ٨٠٪ من الإسرائيليين يؤمنون بأن العنف والاضطهاد داخل إسرائيل سيفضي لا محالة إلى حرب أهلية لا يمكن تجنبها.

• ولقد ارتفع عدد أولئك الذين يرفضون تنفيذ الأوامر الغاشمة

التي تصدر لهم، ويتساءلون: هل أقيمت إسرائيل وكرَّست نفسها من أجل التدمير؟

ألا يتذكرون بما ورد في الكتاب المقدس إذ يسأل: «**هل يمكن أن أبارك لكم وأنتم ترتكبون كل هذه الخطايا؟ لكل هذا الخطايا سأدمركم**».

• وكما قال «أبراهام لنكولن»: «إن بيتًا ينقسم على نفسه لا يمكن أن يستمر بقاؤه».

• واستمع لما جاء بالتوراة: «**فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فإن لي كل الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة، هذه هي الكلمات التي تُكلَّمُ بها بنو إسرائيل**». (سفر الخروج ١٩: ٥-٦).

ثم نسوا الدور الذي كان الله قد اختارهم له، ولم يقوموا به ولم يؤدوه على ما طلب منهم، فاستمع لله وهو يقول لهم: «**وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لي أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم**» (سفر اللاويين ٢٦:١٨).

• والله يحذِّر اليهود في العهد القديم من الإنجيل في الوصية الأخيرة لموسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ كما وردت بسفر التثنية إذ قال: «**ويردك الرب إلى مصر في نفس الطريق التي قلت لك لم تعد تراها فتباعون هناك لأعدائك عبيدًا وإماء وليس من يشتري**» (التثنية ٢٨:٦٨).

وهكذا يتوعد الله موسىٰ عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ أن يعيده إلىٰ مصر مرة ثانية ومعه بنو إسرائيل ليباعوا بها رجالًا ونساءً وأولادًا، وليس ثمة مشترٍ!

• أنتم تدركون أن الله القوي العزيز عندما يعطي للناس «قوة وقدرة» فإنها بمثابة اختبار لهم، كيف يستخدمونها؟ هل يستخدمونها للتعمير أم للتدمير؟

• يقول «داني بن كال»[(١)]: « إن الفلسطينيين يقاتلون ويحاربون من أجل استقلالهم الشخصي، ومن أجل كرامتهم، ومن أجل اعتزازهم بأنفسهم، ولم يعد لدينا كإسرائيليين أي قدرة علىٰ السيطرة علىٰ الناس. إن مظاهر وأعراض هزيمة قومية حاسمة ونهائية

---

(١) يهودي كان يخدم ضمن احتياطي الجيش الإسرائيلي في قطاع غزة، انظر مجلة لنجمة جريدة يهودية يصدرها اليهود، عدد يناير (٨٩).

للإسرائيليين أصبحت واضحة المعالم بشكل طبيعي».

ويستطرد قائلًا: «لقد جاء جنود إسرائيل اليوم، وهم الذين كانوا وكان آباؤهم ضحايا التعذيب إلىٰ حدٍّ أن هتلر كان قد قتل منهم ستة ملايين نسمة. لماذا جاءوا إلىٰ فلسطين؟ لقد جاءوا إلىٰ فلسطين يلتمسون ملجأ من التعذيب ومن الاضطهاد الذي كان المسيحيون يوقعونه بهم. والآن وقد أعطاهم الله المأوىٰ ماذا يفعلون؟ يفعلون هذه الأفاعيل. يهدمون نظام الحياة وإمكانات هدوئها ويروعون أمن الأبرياء من الأطفال. يفعلون هذه الأفاعيل! يضربون، ويطلقون الرصاص علىٰ العزل، وينسفون المنازل بالقنابل والديناميت!».

• ويستطرد ذلك اليهودي قائلًا: «وعندما كان صبي فلسطيني يرمي حَجَرًا كنت أقول في نفسي: كم أود وأتمنىٰ أن أفعل أنا أيضًا مثل فعلك أيها الصبي! ولكن كيف يتسنىٰ لي ذلك؟ وأنا الجندي الذي يحمل السلاح ضدك في جيش الدفاع الإسرائيلي! كنت أود أن أُلقي حَجَرًا أنا الآخر، ولكن كيف يمكن لي ذلك؟ وكنت أقول لنفسي: «أنا الإسرائيلي الذي يعرف آلام الاضطهاد ووقع المعاناة،

وفظائع تعذيب النفس البشرية، ومرارة مقاساة ما يلقاه المعذبون علىٰ أيدي الآخرين»، كنت أقول لنفسي إنني أتعاطف معه، مع هذا الصبي الذي أمسكوه بعد أن كان قد ألقىٰ حَجَرًا، ولكن كيف يتسنىٰ لي أن أقول ذلك علانية؟.

إن هؤلاء الأطفال يتمثل فيهم جمال النضال، وهم يتحركون علىٰ مسرح العمليات، بأعمارهم التي تبدأ من سن الخامسة، وبوجوههم البيضاء التي تشيع فيها البراءة، وبعيونهم الحزينة البريئة التي تُفصح بوضوح أنهم يدركون أن جنون إسرائيل إنما هم أعداؤهم، ولكن جنود إسرائيل في غمرة غلبتهم لا يفهمون ما تعنيه هذه النظرات، ماذا علينا أن نفعل كجنود إسرائيلية؟ علينا أن نتصرف بحزم وبلباقة وبتعقل حسبما يتطلب الموقف، والموقف يتطلب كل شيء فيه أن نكون أبناء خنازير!.

ويستطرد «داني بين كال» قائلًا: «لقد انقضت سنوات منذ أقامت إسرائيل حكمها، وشبَّ عن الطوق جيل جديد مكتمل النمو هناك، ومع ذلك فإننا لا نعتبر هنالك إلا قوة احتلال أجنبية،

ويستمر المستوطنون اليهود من ابتلاع الأكذوبة ومعايشتها، وهم يقطنون محبوسين في بيوت جيرانهم الخائفين عليهم، الثائرين لاغتصاب ديارهم وتبديد أمنهم.

ويدرك المستوطنون اليهود أنهم يعتمدون في أمنهم وبقائهم على الجيش الإسرائيلي وقواته المسلحة، وفي كل مساء ينامون في حراسة الدوريات المسلحة لأنهم يعلمون ذلك. اليهود يعلمون أنهم لو تركوا أسلحتهم لمدة أسبوع واحد، فإن الفلسطينيين صغارًا وكبارًا سينقضون عليهم وسيضربونهم بأيديهم الخاوية من السلاح.

ومع ذلك يدأب ساسة إسرائيل لضيق أفقهم ومرض نفوسهم على الزعم بأن الانتفاضة الفلسطينية إنما هي ظاهرة عديمة القيمة، إن هؤلاء الساسة يضللون الأمة عن الحقيقة التي لا مراء فيها وهو: أن الحل العسكري لهذه القضية السياسية إنما هو مستحيل، لن يكون ثمة حل لهذه القضية من خلال فوهة البندقية، ولو استمرت هذه السياسة الغاشمة التي تفرض نفسها اعتمادًا على القوة الغاشمة، فإن القوة سوف تنقلب علينا نحن اليهود، ويومها سنضع

ذيولنا بين سياقنا كالكلاب المضروبة» أ.هـ

• لغة الإنجيل عندما يخاطب المسيح اليهود قائلًا لهم ما معناه: إن لم تطيعوا الله، فأنتم أحجار، ومعنى ذلك أنهم إن لم يهتدوا فإنهم يكونون كالحجارة التي لا تعي من الأمور شيئًا ولا تعقل، وتوصَف القلوب القاسية بأنها كالحجارة، قال الله تعالى في كتابه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤].

• إن لم يتوخَّ اليهود طاعة الله، وإن لم يتجنبوا الظلم وارتكاب الفظائع الوحشية، فإن العقاب سينالهم لا محالة، وإن الدائرة ستدور عليهم، وسيصيح صائح على الواحد منهم فيقول: هذا يهودي فخذه، وذاك يهودي فاقتله، حتى الحَجَر والشجر سينادي المسلمين قائلًا: ورائي يهودي فاقتله، وإذا صحا العرب اليوم من سباتهم، كيف سيتصرف حيالهم اليهود؟!

• تتسائل مجلة «تايمز» العالمية الأسبوعية تحت عنوان: «المسألة الفسطينية»، يتسائل الكاتب مراسل هذه المجلة قائلًا: «أي نوع من الناس أولئك الذين يطلقون الرصاص على ظهور الصبية وهم يهربون

فارين من المكان؟ وأي نوع من الناس نكون نحن الأمريكيين، ونحن ندفع آلاف الملايين من الدولارات - ولن ينصاعوا لمقتضيات المعقولية أو العدل - لتعضيد ومؤازرة أولئك الذين يطلقون الرصاص علىٰ ظهور الصبية لمجرد إلقائهم الحجارة تعبيرًا عن احتجاجهم علىٰ الظلم الذي حاق بهم وبأهلهم وذويهم، ويمتد العقاب أكثر وأكثر ليشمل هدم البيوت ونسفها بالقنابل والصواريخ»(١).

• من تقاليد الحرب المتعارَف عليها عندما يتقاتل جنود مسلحون ضد جنود مسلحون أن تدع منفذًا للعدو ليهرب إذا شاء الهرب، وليس من تقاليد الحرب أن تقتل مَن يُلقي السلاح ويكف عن المقاومة المسلحة، وتتضح بذلك وحشية وهمجية الممارسات الإسرائيلية.

جنود إسرائيل المسلحون يقاتلون الأطفال الفلسطينيين غير المسلحين، ويطلقون الرصاص في ظهورهم.

إن إطلاق رجل للرصاص - ولو كان شرطيًا - في ظهر رجل

---

(١) مجلة تايمز العدد: (١٩/ ٨٩١٧)، للكاتب الأمريكي «أليكس أ. سميث» من سانتا بيافرا بولاية كاليفورنيا.

آخر - ولو كان مجرمًا- إنما هو بكل الأعراف والقوانين جريمة قتل يعاقب عليها القانون، يُسأل الشرطي: هل كانت هناك ضرورة لإطلاق الرصاص على المجرم؟ ما هي هذه الضرورة؟ هل حاول المجرم أن يقتلك؟ كيف؟ ورصاصك لماذا أصاب ظهره ولم يصب صدره؟ وهو ما يدل على أنه كان يهرب.. كان يحاول الهرب، ولم يقاتلك.. لم يكن ثمة داعٍ إذن لإطلاق الرصاص في ظهر المجرم، إنك قاتل أيها الشرطي! وتبدأ محاكمته..

فما بالنا وجنود إسرائيل يطلقون الرصاص على ظهور الأطفاء والنساء.. أي نوع من الناس هم؟!

۞ ۞ ۞

ومن المحتمل أن تتغير العلاقات الدولية، ويصبح صديق الأمس عدوًّا، ويتوقع ما توقعه مؤلف كتاب: «الموسوعة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» د. محمد أحمد المبيض، من أن المسلمين ستتحالف مع الروم في قتال عدو مشترك هو «إسرائيل»(١)، ثم يرفع رجل الصليب ويقول: بهذا انتصرنا، فيقتله رجل مسلم، وتبدأ الملاحم

---

(١) انظر الموسوعة ص (٦٢٨) إلى ص (٦٣٣)، ط: مؤسسة المختار عام ٢٠٠٥م.

بين المسلمين والروم، والتي أخبر عنها النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وورد بشأنها في الإنجيل والتوراة قريب منها، وستعود القدس إسلامية مهدًا للخلافة الراشدة الثانية، وما على المسلمين إلا أن يجتهدوا ويعملوا بالسنة الإلهية، ومنها: سنة الإعداد واليقظة، والبعد عن الآفات والمعاصي المهلكات والتي يتأخر بسببها نصر الله تعالى لهم، وكل ما هو آت قريب، وإن وعد الله حق، وإن الله لا يخلف الميعاد.

۞ ۞ ۞

ومن تعرَّف على العقلية اليهودية يجد أنها أنسب العقليات اتباعًا للدجال ونصرة لفتنته في آخر الزمان، فاليهود من بداية ديانتهم، وهم يرفضون إلهًا يغيب عن أعينهم، لذا طلبوا من موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ أن يريهم الله جهرة، وطلبوا منه بعد نجاتهم من فرعون وخروجهم من البحر أن يجعل لهم آلهة يعكفون عليها، وهم الذين عبدوا العجل بعد غيابٍ قصير لموسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ عنهم، وهم أكثر ملة من الملل حرفت في تعاليم الله سبحانه وشوهت صورة الأنبياء، بل تعدى الأمر إلى التجديف بالكفر صراحة بوصف الله سبحانه وتعالى بأنه فقير وهم أغنياء وبما لا يليق به، كما أنهم ينتظرون مخلِّصًا

في آخر الزمان، ويصفونه بملك السلام الذي بشروا به، ناسب ذلك أن يكون مخلصهم هو المسيح الدجال بعينه، وأن يكون إلههم الذي كانت تتشوف نفوسهم إليه، هذا الإله المادي الذي يرعى شهواتهم، ويوافق أهواءَهم.

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: { **يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ، سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ** }(١).

۞ ۞ ۞

ومن الملاحظ أن بلاد الشام هي مركز الصراع العالمي في آخر الزمان، وفي الماضي، تجد أن أساطين الباطل دائمًا يُستدرَجون إلى الأرض المقدسة لتكون نهايتهم فيها، ففي الماضي كانت موجة التتر أو المغول المخيفة والتي انتهت عندما استُدرِجوا إلى بلاد الشام، حيث كانت المعركة الفاصلة في عين جالوت، وكذلك الروم استُدرِجوا إلى هذه البلاد إلى أن كانت الضربة القاصمة في حطين، وفي آخر الزمان يستجمعون كل قوتهم (أي الروم) ويُستدرَجون إلى الملحمة العظمى في الشام، حيث تكون نهايتهم المهينة، وكذلك الدجال

---

(١) أخرجه مسلم، ك: الفتنة وأشراط الساعة، برقم (٢٩٤٤).

يُستدرَج إلىٰ تلك الأرض ليلقىٰ هو وشيعته من اليهود مصيرهم فيها، وكذلك يأجوج ومأجوج الذين يعيثون فسادًا في كل الأرض يُستدرَجون إلىٰ الأرض المقدسة ليقضوا نهايتهم(١)، وكأن الأرض المقدسة هي مقبرة كل جبابرة الأرض.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾[آل عمران].

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق].

❁ ❁ ❁

الحمد لله الذي أهداني هذه الخَاطِرَةَ، وأَرجُو أنْ تَكُونَ عمَلًا خالصًا لوجهِهِ الكريم.

فما كان منها في دائرةِ الصواب فَمِنْ ربي، وما كان منها في دائرةِ الخطأ فمن نفسي ومن الشيطان، ولله العُتبَىٰ حتىٰ يرضَى.

والله من وراء القصد

❁ ❁ ❁ ❁

كتبه . . د/ الطيب علي أبو سِنّ

وزير الثقافة الأسبق بالسودان

---

(١) انظر صحيح مسلم، ك: الفتنة وأشراط الساعة، برقم (٢٩٣٧).

فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

اقرأ في هذا الكتاب

- ما هو سر الحجر في حياة بني إسرائيل؟!
- لماذا يتكلم الشجر والحجر آخر الزمان؟!
- العقل والقوة .. للتعمير .. أم للتدمير؟
- لماذا يقاتل اليهود مع الدجال آخر الزمان؟!
- لماذا بلاد الشام هي مركز الصراع العالمي ومقبرة جبابرة الأرض؟!

